## 221892 ـ أهل الحديث هم أهل الأخلاق الفاضلة

### السؤال

أهل الحديث هنا في الهند وقحون جداً ، ويتصرفون كما لو أنهم قد ضمنوا جنة الله ، إنهم ليسوا كأهل السنة ، إنهم يرفضون التقليد والفقه ،إذا كانوا على حق فما بالهم يتصرفون هكذا ؟!

### الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الواجب على المسلمين عامة ، وطلبة العلم والمنتسبين إلى السنة والحديث خاصة ، أن يتزينوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، فتلك حليتهم التي يرتفعون بها عند الله ، وينالون بها مراتب الجنان ، لا بالانتساب اللفظي إلى أهل الحديث ، ولا بالانتساب الشكلي إلى أهل العلم والفقه ، فكل هذه العلوم إنما هي وسائل لتحقيق العبودية لله سبحانه ، وأعظم العبودية أن تراقب الله تعالى في معاملتك لخلقه ، فتحسن إليهم ، وتشفق عليهم ، وتتواضع لهم ، وتتجنب الاستطالة عليهم ، حتى لو اعتقدت أنك على الحق والسنة ، وغيرك على المعصية والبدعة ، فليس ذلك بمجيز لك أن لا تعاملهم بما أمرك الله عز وجل به ، قال تعالى : ( ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ) النحل/125، وقال سبحانه : ( ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ) المؤمنون/96، وقال جل وعلا : ( وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ) فصلت/34-35، وقال عليه الصلاة والسلام : ( خالق الناس بخلق حسن ) رواه الترمذي (1987) وحسنه الألباني في " صحيح الترمذي ".

وهذا ما امتثله أصحاب الحديث الأوائل ، فقال ابن سيرين رحمه الله : كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم ، وقال الحسن البصري : إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين ، وقال أيضا : كان طالب العلم يرى ذلك في سمعه وبصره وتخشعه ، وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك : نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث ، وكان الليث بن سعد كثيرا ما يقول لأصحاب الحديث : تعلموا الحلم قبل العلم ، انظر هذه الآثار وغيرها في كتاب " تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم " لابن جماعة .

وقد جعل المحققون من أهل الحديث والسنة الأخلاق الفاضلة في صلب تعريف أهل السنة ، وفي أركان مذهبهم ومنهجهم .

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – في خواتم العقيدة الواسطية :

" ثم هم مع هذه الأصول يدينون بالنصيحة للأمة ، ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم : ( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد

بعضه بعضا وشبك بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ) وقوله : ( مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر )، ويأمرون بالصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بمر القضاء ، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ويعتقدون معنى قوله : ( أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا )، ويندبون إلى أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ؛ ويأمرون ببر الوالدين ، وصلة الأرحام ، وحسن الجوار ، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك ؛ وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي ، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق ؛ ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفسافها " .

انتهى باختصار من " مجموع الفتاوى " (3/ 159) .

ويقول أيضا رحمه الله :

" نحن لا نعني بـأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته ، بل نعني بهم : كل من كان أحق بحفظه ، ومعرفته ، وفهمه ظاهراً أو باطناً ، واتباعه باطناً وظاهراً ، وكذلك أهل القرآن .

وأدنى خصلة في هؤلاء محبة القرآن والحديث ، والبحث عنهما وعن معانيهما ، والعمل بما علموه من موجبهما ، ففقهاء الحديث أخبر بالرسول من فقهاء غيرهم ، وصوفيتهم أتبع للرسول من صوفية غيرهم ، وأمراؤهم أحق بالسياسة النبوية من غيرهم ، وعامتهم أحق بموالاة الرسول من غيرهم .

وأهل العلم فكانوا يقولون : هم الأبدال ؛ لأنهم أبدال الأنبياء ، وقائمون مقامهم حقيقة ، ليسوا من المعدمين الذين لا يعرف لهم حقيقة ، كل منهم يقوم مقام الأنبياء في القدر الذي ناب عنهم فيه: هذا في العلم والمقال ، وهذا في العبادة والحال ، وهذا في الأمرين جميعاً . وكانوا يقولون : هم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ، الظاهرون على الحق ؛ لأن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله معهم . وهو الذي وعد الله بظهوره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً " .

انتهى من " مجموع الفتاوى " (4/95-97) .

هذه هي أخلاق أهل الحديث الذين عرفهم علماؤنا عبر التاريخ ، وصنفوا المصنفات الكبار في بيان معتقدهم وصفاتهم وأخلاقهم ، ومن أجمل ما قالوه أيضا في ذلك ما جاء في كتاب " المحدث الفاصل " (ص/1-4) للإمام الرامهرمزي رحمه الله (ت360هـ) حيث يقول :

" اعترضت طائفةٌ ممن يشنأ الحديث ويبغض أهله ، فقالوا بتنقص أصحاب الحديث والإزراء بهم ، وأسرفوا في ذمهم والتقوّل عليهم ، وقد شرّف الله الحديث وفضّل أهلَه ، وأعلى منزلته ، وحكمه على كل نحلة ، وقدّمه على كل علم ، ورفع من ذكر من حمله وعني به ؛ فهم بيضة الدين ، ومنار الحجة ، وكيف لا يستوجبون الفضيلة ، ولا يستحقون الرتبة الرفيعة ، وهم الذين حفظوا على الأمة هذا الدين ، وأخبروا عن أنباء التنزيل ، وأثبتوا ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وما عظمه الله عز وجل به من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فنقلوا شرائعه ، ودوّنوا مشاهده ، وصنفوا أعلامه ودلائله ، وحقّقوا مناقب عترته ، ومآثر آبائه وعشيرته ، وجاءوا بسير الأنبياء ، ومقامات الأولياء ، وأخبار الشهداء والصديقين ، وعبروا عن جميع فعل النبي صلى الله عليه وسلم في سفره وحضره ، وظعنه وإقامته ، وسائر أحواله من منامٍ ويقظة ، وإشارة وتصريح وصمت ونطق ، ونهوض وقعود ، ومأكل ومشرب ، وملبس ومركب ، وما كان سبيله في حال الرضا والسخط والإنكار والقبول ، حتى

القلامة من ظفره ما كان يصنع بها ، والنخاعة من فيه أين كان وجهتها ، وما كان يقوله عند كل فعل يحدثه ويفعله ، وعند كل موقف ومشهد يشهده ، تعظيمًا له صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة بأقدار ما ذكر عنه ، وأسند إليه ؛ فمن عرف للإسلام حقّه وأوجب للرسول حرمته أكبر أن يحتقر من عظم الله شأنه ، وأعلى مكانه ، وأظهر حجته ، وأبان فضيلته ، ولم يرتق بطعنه إلى حزب الرسول وأتباع الوحى وأوعية الدين ونقلة الأحكام والقرآن الذين ذكرهم الله عز وجل في التنزيل فقال : ( والذين اتبعوهم بإحسان ) فإنك إذا أردت التوصل إلى معرفة هذا القرن لم يذكرهم لك إلا راو للحديث متحقق به ، أو داخل في حيز أهله ، ومَن سوى ذلك فربك بهم أعلم " انتهى .

ونحن بهذا ندعو أنفسنا وجميع المسلمين ، ومنهم السائل المكرم ، ومن وصفهم أيضا في سؤاله، ومن اتهمهم من المنتسبين إلى أهل الحديث ، ندعو الجميع أن يتحلى بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي النجاة لنا جميعا ، وهي الاختبار الحقيقي لمن يدعي متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته ، كما قال سبحانه وتعالى : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) آل عمران/31.

كما ندعو السائل الكريم إلى الحذر من الميل في الحكم على من يخالفه ، أو يشاحنه ، بل الذي عليه ، كما على كل مسلم ، أن يتحلى بالإنصاف في أمره كله ، ولو مع عدوه ، فضلا عن أن يكون أخاه في الدين ، ولو خالفه في أمر من أمره ؛ قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) المائدة/8 .

وليحذر من سعي الشيطان الحثيث ، وكيده ، لإيقاع العداوة والشحناء بين المؤمنين ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ( إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ) رواه مسلم (2812) .

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالُوا : بَلَى !! قَالَ : صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ؛ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ ) رواه الترمذي (2509) وقال : هذا حديث صحيح ، وصححه الألباني "صحيح وضعيف الترمذي" (2509) .

والله أعلم .